٣- ظهور مبدأ توازن القوى:

لقد أسهم مبدأ(توازن القوى) الذي ظهر أثر ظهور عدد كبير من الدول في أوربا في منع الحرب والتوسع، وكان يعني منع فسح المجال لدولة أو مجموعة من الدول المتحالفة بأن تطغى على غيرها، وتقوم بتهديدها، وذلك عن طريق تشكيل كتلة مضادة تستطيع إعادة التوازن بين الدول الأوربية، وكانت المدن الإيطالية تطبق هذا المبدأ على نطاق ضيق في القرن الخامس عشر، وكان(صلح ويستفاليا) عبارة عن محاولة لتقليل سيطرة(آل هابسبورغ) على أوربا بأخذ بعض أجزائها على حساب الدول الأخرى. لقد صار مبدأ (التوازن الدولي) أساساً تسير عليه الدول بعد حرب الثلاثين عاماً، وكان وسيلة للحفاظ على السلام، ومجابهة العدوان من قبل مجموعة من الدول، وفي كثير من الأحيان كانت الكتل المتنازعة على الغنائم تجبر بموجب هذا المبدأ أن تتنازل عن بعض مطامعها إلى أن يتعادل الميزان.

٤- تقلص الإمبراطورية الرومانية المقدسة:

وتدهورها، وتأجيل الوحدة الألمانية بسبب أنانية أمراء الولايات، وتدخل الأجانب في شئون ألمانيا الداخلية كفرنسا، والسويد، والدانمارك [1].

إن أعظم انتصار حققته فرنسا، وحليفاتها السويد، وهولندا، كان في الدستور الجديد للإمبراطورية ذاتها، وليس في التغييرات الإقليمية. لقد أصبحت الولايات الجديدة التي يربو عددها على ثلاثمائة ولاية، حكومات ذات سيادة، ومنحت كل واحدة منها الحق في أقامة العلاقات السياسية مع الحكومات الأجنبية، وعقد المعاهدات معها، وذهب (صلح ويستفاليا) إلى أبعد من ذلك كثيراً، فأشترط الإمبراطور بأن لا يحق له سن القوانين، وجباية الضرائب، ودعوة الجنود لحمل السلاح، وإعلان الحرب، وتعديل بنود معاهدة صلح ما، إلاّ بموافقة مجلس الإمبراطورية المؤلف من ثلاثمائة أمير، وذلك في اجتماع يعقدونه في (الرايخشتاغ)، واختيرت كل من (فرنسا، والسويد) لتكونا ضامنتين لـ (صلح ويستفاليا). على أن السويد، وأن كانت قد بلغت من الضعف درجة لا تستطيع معها تنفيذ تعهدها تنفيذاً فعالاً، فإنّ فرنسا بقيت تستفيد من هذه القاعدة القانونية للتدخل في شئون أوربا الوسطى قرن ونصف من الزمن [2]. إن معاهدة ويستفاليا تُعدّ بحق ميلاد الدولة القومية في العلاقات الدولية، فأصبح للدولة حدود قومية، وجيش قومي، واقتصاد قومي، وملك لا يخضع لا لسلطة الكنيسة، ولا لسلطة الإمبراطور.

1- د.محمد محمد صالح، مصدر سبق ذكره، ص٣٠١-٣٠٥.

2- روبرت بالمر، الجزء الأول، مصدر سبق ذكره،

المبحث الثاني

المؤتمرات الدولية بعد مؤتمر فينا

عقدت بعد مؤتمر فينا سلسلة من المؤتمرات الدولية لمناقشة القضايا الأوربية بين الدول الأوربية الكبرى، وهي:

أولاً: مؤتمر أكس لاشابيل، أيلول في العام ١٨١٨:

إذ عُقِدَ هذا المؤتمر للنظر في قضية جلاء الجيوش الأوربية التي احتلت فرنسا لتخليصها من نابليون، وإعادة عرش فرنسا إلى لويس الثامن عشر، وكانت معاهدة باريس الثانية قد نصت على هذا الاحتلال، إذ حضر المؤتمر قيصر روسيا، وملك بروسيا، وإمبراطور النمسا يرافقه وزير خارجيته مترنيخ، ووزير خارجية بريطانيا كاستلري، ودوق ولينغتون، ورئيس وزراء فرنسا، وبالنظر لالتزام فرنسا بقرارات مؤتمر فينا، وما أبدته من رغبة في السلام، ومسعى في حفظ التوازن الدولي وافقت الدول الحليفة على الجلاء عن الأراضي الفرنسية، وكانت فرنسا قد تعهدت بدفع جميع ما تبقى عليها من تعويضات وغرامات بموجب هذه المعاهدة مرة واحدة، ويعود الفضل في ذلك إلى رغبة قيصر روسيا بإعادة فرنسا على قدم المساواة مع الدول الأخرى من أجل أن تكون حليفة له في غرب أوربا، ولا يمكن أن نغفل صداقته المتينة مع رئيس وزراء فرنسا ريشيليو، ويمكن أن نشير أيضا أنه بسبب مخاوف بريطانيا من تجدد أخطار الثورة الفرنسية وقعت الدول الأربع الكبرى بروتوكول سري أكدت فيه تمسكها بمبادئ التحالف الرباعي، وقرارات مؤتمر فينا[1].

وقد أثيرت قضايا أخرى في المؤتمر، منها ما آثاره قيصر روسيا بخصوص مسألة المطالبة التي بدأت تطرح في بعض الأماكن بخصوص التغيير الدستوري، والأفكار الثورية سواء في ايطاليا أو ألمانيا أو اسبانيا، وأقترح لمعالجة هذا الأمر أقرار مبدأ التدخل في شئون الدول الأخرى الداخلية عند الضرورة. وقد تحمس لهذا المقترح مترنيخ، في حين عارضته بريطانيا بشدة، إذ سادت في النهاية وجهة نظر الأخيرة بإصدار بيان تم فيه تحديد الحالات التي يمكن التدخل فيها، إذ أشترط البيان المذكور أن لا يجتمع أعضاء التحالف الخماسي لبحث قضية دولة أخرى إذا لم تطلب تلك الدولة، وبصورة رسمية

وشرعية عقد مثل هذا الاجتماع الذي يناقش قضايا داخلية خاصة بها، على أن ترسل مندوبين عنها يشاركون في أعمال المؤتمر [1].

إن تمسك بريطانيا بهذا القرار قد ظهر وبشكل عملي بعد ثورة أسبانيا سنة ١٨٢٠، والتي أجبرت الملك الاسباني على القبول بدستور العام ١٨١٢، والذي عاد الشعب الاسباني مكسباً ديمقراطياً، وحاول قيصر روسيا منع ملك اسبانيا عن هذا العمل عن طريق إرسال جيش لإلغائه بالقوة ، إذا حزم الأمر، إلا أن بريطانيا أصدرت وثيقة رسمية في أيار من العام ١٨٢٠، أكدت فيها على تعهدها بمنع عودة نابليون أو أي فرد من أفراد أسرته إلى العرش، وبالمحافظة على التدابير الإقليمية المتفق عليها في فيينا بالقوة المسلحة لمدة عشرين عاماً، وعليه تعدّ بريطانيا أن الثورة الاسبانية مسألة داخلية لا تشكل خطراً على البلاد الأخرى، وأن دوافع بريطانيا في موقفها من اسبانيا باعتبارها الأخيرة ذات سواحل وموقع مهم على البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، ولها ممتلكات واسعة فيما وراء البحار مما له علاقة بقوة بريطانيا البحرية، وخشيتها من سيطرة فرنسا على هذه المنطقة.

إن الموقف البريطاني جاء نتيجة لتراكم عدة أحداث توجتها القضية الاسبانية ورغم يكون تدخل مترنيخ في شئون الولايات الألمانية سنة ١٨١٩، أحدى المؤشرات التي لم ترضَ عليها بريطانيا، والتي تبين الفرق بين التفسير النمساوي والبريطاني لمبدأ المحافظة على الحدود السياسية، والتوازن الدولي الذي أقره مؤتمر فينا. لقد أخذ مترنيخ يتشدد تجاه الحركة القومية التي بدأت تتصاعد عند الألمان، إذ ظهر في ألمانيا بعد مؤتمر فينا العديد من الكتاب والمثقفين الألمان يبشرون بمبادئ الثورة الفرنسية، وبضرورة توحيد ألمانيا في كتاباتهم، وعلى مجد التاريخ الألماني، وحضارتهم [2].

وهذا كان هناك اختلاف في وجهات النظر بين كل من روسيا القيصرية والنمسا من جهة، وبريطانيا من جهة أخرى، إذ كانت بريطانيا تخشى مما قد يحققه قيصر روسيا من سياسات توسعية تجاه البلقان، والبحر الأسود، والمضايق، وسلامة بريطانيا في نهاية المطاف، إذ صدر بيان عن المؤتمر حدد فيه حالات التدخل في شؤون الدول الأخرى [3].

ثانياً: مؤتمر (كارلسباد) ١٨١٩:

بالنظر لنشاط الحركة الوطنية في ألمانيا، ولاسيما في الأوساط الجامعية فقد عقدت هذه الأوساط في جامعة (يينا) سنة ١٨١٧، أول مؤتمر عام للطلاب الألمان. وقد شغلت هذه التطورات بآل مترنيخ، ونظراً لاغتيال احد الطلاب الوطنيين كاتباً وصحفياً بروسياً معروفاً بصلته بقيصر روسيا، أستغل مترنيخ هذه الحادثة، ودعا إلى عقد مجلس الاتحاد الجرماني (الدايت) في (كارلسباد) الذي أقر فرض قيود في جميع أنحاء ألمانيا على الحريات الشخصية، وأعاد الرقابة على الصحف، والمطبوعات، والجامعات، وقرر مجلس الاتحاد بصورة استثنائية تعيين لجنة رقابة دائمة للإشراف على نشاط وأعمال الجامعات الألمانية، ولما كانت جميع الدول الألمانية سواء عن قناعة أو خوف قد ألتزمت بتنفيذ هذه القوانين فقد رأت فيها جماهير الألمان محاولة من جانب التحالف المقدس، ومترنيخ لفرض سياسة رجعية استبدادية في كل أنحاء ألمانيا [1].

ثالثاً: مؤتمر(ترورباو) لعام ١٨٢٠:

إن إخماد الحركة المطالبة بالحريات في ألمانيا لم يرهب المناطق الأوربية الأخرى، وفي مقدمتها ايطاليا التي فقد شعبها الاحترام، والمودة للعوائل التي أعيدت لعروشها، وانتهت هيبة النظام القديم الذي أخذت الشعوب تنظر إليه على انه نظام مستغل وغاصب، ومن ناحية أخرى فقد ألهمت مبادئ الثورة الفرنسية المشاعر في ايطاليا، وقلبت القيم والمفاهيم رأساً على عقب، فأصبحت العلمانية هي السائدة بعد أن كانت سلطة الكنيسة واسعة الانتشار قبل ذلك. وقد تم ذلك في مملكة لومبارديا-البندقية، ومملكة بيد مونت- السار دية، وفي نابولي، حيث فرض في المملكة الأولى القانون النمساوي، وليس الايطالي، وحصرت الوظائف العليا بيد النمساويين أو الألمان، وكان الجنود الذين يحتلون البلاد يظهرون قساوة واستعلاء، أما في المملكة الثانية فقد أعيدت الامتيازات الإقطاعية، والمحاكم الكنسية، وفي نابولي أعيدت الأموال والممتلكات إلى المهاجرين، وصدر عفو عن أعداء الثورة الفرنسية. وقد ظهرت في المدن الايطالية بواكير التنظيم السري المعادي للأنظمة المستبدة المرتبطة بالنمسا وقد قاد هذه التنظيمات، وانضم إليها، وأيدها عناصر مؤثرة في المجتمع، وهي البرجوازية التجارية التي فشلت تجارتها بالرسوم والمكوس الداخلية، وبعودة التشريعات القديمة مع استرجاع الامتيازات إلى طبقة النبلاء، وأن نمو ونشاط الحركة الفكرية في شمال ايطاليا، وخصوصاً في مملكة لومباردية- البندقية، وتطور التنظيمات السرية، وانتشارها في ايطاليا قد أدى إلى اندلاع

[1] - المصدر

ثورة في نابولي سنة ١٨٢٠، توسعت وتحولت إلى ثور... صدى مباشر في قيام ثورة البندقية، وبيد مونت، وكان لثورة اسبانيا لسنة ١٨١٢، نابولي إلى تقديم الوعد للفحامين بإعلان دستور البلاد على أن يكون هذا الدستور هو الدستور الاسباني لسنة ١٨١٢[1].

وكان ذلك ضربة لمترنيخ الذي كان يجابه صعاب مماثلة في اسبانيا، وألمانيا ولاسيما أن الثورة امتدت إلى الشمال الايطالي، واتخذت طابع العنف والرغبة الواضحة في التخلص من النفوذ النمساوي، لقد رأى مترنيخ أن تساهله في مكان واحد سيؤدي حتماً إلى تشجيع الآخرين في ايطاليا، وبقية إنحاء أوربا على الثورة، ومن ثم انهيار النظام الأوربي الذي تم أقامته سنة ١٨١٥، ولذلك قرر مترنيخ إرسال حملة عسكرية إلى ايطاليا متذرعاً بمبادئ التحالف المقدس، غير أن الفرنسيين الذين كانوا يرغبون في ا... نفوذ النمسا في إيطاليا عامة، أبدوا معارضة شديدة لهذا التدخل، وتذرعوا بالتصريح الصادر عن الدول الكبرى عقب مؤتمر أكس لاشابيل، والذي يشترط القيام بالتدخل شئون دولة أوربية أن تطلب هذه الدولة نفسها مثل هذا التدخل، ولما لم تكن نابولي طلبت مثل هذا الأمر من النمسا أو من الدول الكبرى، فلا مبرر إذن لتدخل عسكري من قبل مترنيخ. وقد أسفرت معارضة الفرنسيين عن اتفاق الدول الكبرى على ... مؤتمر خماسي في مدينة تروباو في سليزيا في تشرين الأول من العام ١٨٢٠، وح... المؤتمر قيصر روسيا ، وملك بروسيا، وإمبراطور النمسا، وسفير بريطانيا في فيا... فرنسا بسفيريها في النمسا وبروسيا. وقد أرادت روسيا القيصرية توسيع مبدأ التد... وإطلاقه بصورة خاصة من أجل معالجة مشكلات اسبانيا وأميركا اللاتينية، في حين... مترنيخ، ومعه جميع المؤتمرين يريدون حصر المؤتمر بمعالجة المشكلة الايطالية، وب... خاصة مشكلة نابولي، إلا أن وجهة النظر النمساوية انتصرت في النهاية ، وتقرر ... بان تتولى حل المشكلة الايطالية، وذلك لكي لا يتجرأ في المستقبل أي شعب للتع... على حقوق وسلطات عرش بلاده[2].

وفي البروتوكول الصادر عن المؤتمر في ١٩ تشرين الثاني من العام ١٨٢٠... أسم التحالف المقدس، وأهميته، ودوره في استقرار أوربا، وهذه دلالة على ... بريطانيا عن سياسة الدول الكبرى، وعدم تأييدهم لسياستها في التدخل كما...